خلاصة باللغة العربية للبحث المنشور بالإنجليزية بعنوان المراحل الكلاسيكية فى تطور اللغة الأدبية العربية وتثبيت مقاييسها

للأستاذ محمد خلف الله احمد
مدير المعهد

يقع هذا البحث فى مقدمة وثلاثة أقسام : فأما المقدمة فقد أشارت إلى الحقيقة التاريخية ، وهى أن اللغة الأدبية العربية قُررت معاييرها بشكل علمى منذ القرون الأربعة الأولى من الهجرة ؛ فوُضعت قواعدها النحوية والصرفية ، وحددت أوضاعها اللغوية والأدبية بعد دراسة جادة وبحث منظم . وقد استمرت حياتها منذ ذلك اليوم إلى العصر الحاضر دون انقطاع ، واستمرت الأقطار العربية تتخذ منها لغة أدبية موحدة ، وإن اصطنع كل قطر منها لهجة عامية لحياته اليومية .

هذه الحركة العلمية استندت إلى فروض ومبررات ، منها اتحاد اللغة الأدبية قبل الإسلام وبعده ، ومنها انتشار الشعر الجاهلى واستقرار أوضاعه اللغوية والأسلوبية فى كثير من أنحاء شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام .

ويلخص القسم الأول من البحث محاولات العلماء من شرقيين ومستشرقين فى تعليل نشوء تلك اللغة الموحدة ، وفى بيان الصلات بينها وبين اللهجات التى كانت منتشرة فى شبه الجزيرة .

وأما القسم الثانى فإنه يتتبع تطور اللغة العربية وانتشارها فى المرحلة الثانية التى بدأت بظهور الإسلام ، فيشير إلى أن معجزة الدين الجديد جاءت فى صورة كتاب عربى مبين ، وجّه الحياة العربية وجهة جديدة وسنّ لها دستوراً شاملاً ، ولم يلبث هذا الكتاب أن جُمع ونشر فى صورة رسمية وأصبح محور دراسة أدبية ولغوية كان لها أثرها بعد فى تقنين اللغة الأدبية ،

كما كان لفكرة إعجازه أثرها فى إبراز مقاييس الجودة الأدبية . فلما اتجه الإسلام إلى خارج شبه الجزيرة فى فتوحه ، صاحبته اللغة العربية فانتشرت بانتشاره ، وتأثرت بعوامل الامتزاج بين الجيوش الفاتحة التى جمعت بين أفراد وكتائب من قبائل مختلفة ، وبخروج العرب من المرحلة القبلية إلى مرحلة بناء الأمصار وإنشاء الدول . وبذلك امتد ظل العربية إلى الشام والعراق وفارس وإلى مصر وشمال افريقية . وحين استقر الحكم فى الدولة الأموية أخذت عواصم الامبراطورية الإسلامية تتخصص فى نواح من الثقافة والنشاط الفكرى ، فازدهرت الموسيقى والغناء وشعر الغزل فى أمصار الحجاز ، ونشط شعر السياسة والعصبية فى الشام والعراق ، وظهر كتّاب الرسائل من الموالى والعرب . وبذلك كله أصبحت اللغة العربية الفصيحة لغة دين وأدب واجتماع وإدارة فى مجتمعات متطورة ناهضة ، وأظهرت كفايتها لمطالب النشاط الذهنى فى تلك الامبراطورية الواسعة . وبقيام الدولة العباسية اتجه ذلك النشاط وجهةجديدة فأخذ فى ترجمة التراث العلمىوالفلسفى للأمم القديمة . ولم تلبث المراكز الإسلامية فى الشرق والغرب أن بلغت فى القرن الثالث والرابع الهجريين ذروة الازدهار ، وأن أخذت بنصيب اللغة العربية فى تقدم المعرفة الإنسانية .

ويتناول القسم الثالث من البحث شعور العلماء المسلمين فى المرحلة الثالثة من تطور اللغة العربية بضرورة تقنين أوضاعها اللغوية والأدبية ، والعوامل التى أثارت هذا الشعور ، والتى كان من بينها ظهور اللحن وتسرب العناصر الدخيلة إلى جسم اللغة . وقد ظهرت جهود هؤلاء العلماء فى جهاتثلاث : الأولى وضع علم النحو ، والثانية وضع علم اللغة ، والثالثة تطوير الدراسات النقدية والبلاغية . وقد نشأت هذه العلوم ثمرة لحركة علمية قامت على الجمع والنقد والتصنيف والتقنين ، وهى حركة جديرة أن تأخذ مكانها بين الحركات العلمية الكبرى فى التاريخ الإنسانى .